الكتاب الثاني

تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر

أ.د. نفوسة زكريا سعيد

تحليل وعرض أ.د. السيد أحمد فرج

الأستاذة الدكتورة نفوسة زكريا سعيد عبد الله:

ولدت نفوسة بحي «مينا البصل» بالإسكندرية في الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٩٢١م وهو حي تسكنه الأسر متوسطة الدخل والثقافة، أو الأقرب إلى الفقيرة، لأسرة متوسطة متدينة ترعى حق الدين والوطن.

وحصلت الطالبة نفوسة زكريا سعيد عبد الله على الشهادة التوجيهية (الثانوية العامة) في سنة ١٩٤٢م، وبها تقدمت للالتحاق بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية، بالمدينة التي ولدت بها ونشأت، وشهدت طفولتها وصباها ويفاعتها، ولما تم قبولها بكلية الآداب، اختارت قسم اللغة العربية، وكان اختيارًا يوافق رغبتها في تعلم اللغة العربية.

وكانت نفوسة قد عاصرت في مرحلة تعليمها الثانوي، معارك الحرب العالمية الثانية - ثم عاصرت ما دار منها على أرض مصر في أثناء مرحلة تعليمها الجامعي، بأرض العلمين غربي الإسكندرية، الأمر الذي نبهها إلى ضرورة تفهم القضايا الوطنية، وأهمية الاهتمام بها.

وفي المحاضرة الأولى بقسم اللغة العربية انبهرت الطالبة نفوسة بأستاذ مادة الأدب العربي، فقد كان الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين ينقل لطلابه في دروس الأدب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ويحدد لهم فترة بعينها، هي أهم الفترات في تاريخ مصر الحديث - من الثورة العرابية واحتلال بريطانيا مصر في سنة

١٨٨٢م إلى سـنة ١٩٤٦م أي بعـد نهايـة الحـرب العالميـة الثانيـة بـسنة واحـدة. وسنلاحظ أنها الفترة نفسها التي جرى فيها معظم بحث نفوسة زكريا سعيد في «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر».

لقد انبهرت الطالبة بالأستاذ وراعها من الوهلة الأولى أنه يهتم بربط الأدب في اتجاهاته الوطنية، باللغة العربية، لغة القرآن، ولغة مجد الإسلام والعرب، وبما يجب أن يكون عليه العرب والمسلمون من الالتزام الديني والخلقي والعلمي نحو الوطن الذي تحتله قوات الاحتلال الإنجليزي، وما يمثله الاحتلال من أطماع الغرب، وتقاتلهم على أرضه في معارك (العلمين).

كانت هذه الأحداث الجلل متمكنة من عقل الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، كما كانت متمكنة من عقول تلاميذه، ومنهم نفوسة زكريا سعيد عبد الله. وكانت تأثيراتها تظهر فيما يحاضر الأستاذ ويكتب في الأدب الوطني الذي يلقنه تلاميذه، وفي مقدمتهم نفوسة، التي كان يشتد إيمانها بمنهج أستاذها يومًا بعد يوم، الذي لخصته في عبارة: «الوطن في القلب، والعقل والفكر والقلم في خدمته»

وفي الوقت الذي انبهرت فيه نفوسة بأستاذها، استطاعت أن تقنع الأستاذ بأنها نبت طيب في حديقة الحقيقة، وأنها تنتظر من يتعهده ليأتي ثماره وأكله، فقد رأى فيها الأستاذ طالبة علم تتمتع بذكاء متوقد مصون بهدوء وتعقل وكياسة، فعزم على أن يصنع مسيرتها على عينيه، وتعهدها كما يتعهد الزارع فسيلة من غرسه، وكما يتعهد الأستاذ المحب، الطالب المحب، ثم كانت صلة رحم العلم تنمو بينهما على مر الأيام، وينمو معها عقل التلميذة وذهنها وحزمها، وإيمانها بقضايا الوطن، وعزمها على أن تسير على خُطى أستاذها، على الإيمان بأن تَعلُّم العربية، يكون قضية ضرورية من قضايا الوطن. على درب أن العلم مسخر لحق الدين والوطن، وليس ترفًا أو لنيل حظوظ الدنيا. وعلى هذا سارت نفوسة على الطريق الذي رسمه لها

أستاذها الدكتور محمد محمد حسين. ولم يشق الأمر عليها لأنها بفطرتها كانت مستعدة لأن تسير على هذا الدرب، ولم يكن ينقصها غير مرشد أمين ينير لها الطريق، ويوضح لها المنهج الصحيح.

وتخرجت نفوسة في سنة ١٩٤٦م ونالت ليسانس الآداب في اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. وأصر الأستاذ على أن تُعيَّن تلميذته النجيبة معيدة بقسم اللغة العربية، ولكنه وجد من جرَّاء ذلك معارضة لأن أحدًا من الأساتذة لم يتحمس لتعيين امرأة، ولكن المصاعب ذُللت بموقف الأستاذ الذي لم يتزحزح عنه، وزكاها تفوقها العلمي وتقدير إجازتها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في شهادة التخرج. وتم تعيينها معيدة بقسم اللغة العربية في ١٩٤٧م.

وسجلت نفوسة أطروحتها لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، برعاية من أستاذها الذي ظل يحيطها بحب الأب ورعاية الأستاذ في اختيار الموضوع بعنوان «البارودي حياته وشعره» وكان أساس الاختيار أن البارودي كان باعث النهضة الشعرية في العالم العربي في العصر الحديث، بجانب كونه ثائرًا معظمًا لمجد العروبة والإسلام. ونالت نفوسة عن البارودي وشعره درجة الماجستير في الآداب بتقدير ممتاز، مع مرتبة الشرف الأولى في سنة ١٩٥٣م.

وعُينت مدرسًا مساعدًا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في ١٩٥٤م.

وفي هذه المرحلة من تاريخ مصر كانت دعاوى إلى العامية قد تمكنت من أروقة الثقافة المصرية والعربية، وكانت قد بدأت بخطط استعمارية واستشراقية مع بداية الاحتلال، وكانت دعاوى خبيثة تروم إماتة اللغة العربية، وتهدف إلى النيل من القرآن، ومن العقيدة الإسلامية، إذ إن العربية هي أداة فهم القرآن، وأنهم إذا تمكنوا من إضعاف العربية، لم يبق للناس طريق إلى فهم القرآن. وتمثلت حملات إضعاف

العربية فيما يلي:

١- ما أسموه تطوير قواعد اللغة العربية وتجديدها، أو تهذيبها وتيسيرها، بالتحلل من القواعد التي صانتها على مر القرون الطوال، بدعوى صعوبة قواعدها على متعلميها، وعجزها عن مسايرة عصر العلم الحديث، والانتفاع بما استحدثه الدارسون في الدراسات اللغوية في الغرب. وأصحاب هذه الدعوة تجاهلوا أن العربية ظلت قرونا طوالًا، تواكب التقدم الحضاري بين مشارق الأرض ومغاربها ولم تضق بشيء منه.

٢- تأليف الكتب والبحوث والمقالات في اللهجات العامية في أقطار العالم العربي بواسطة المستشرقين والمنصرين، وتزيين أن تصبح اللهجات العامية، لغات تحل محل العربية في تدوين العلوم والآداب.

٣- تأليف الأبحاث الداعية إلى أن تكتب اللهجات العامية بحروف لاتينية.

٤- نقل أساليب دراسات علماء اللغة في الغرب للغاتهم الغربية، إلى البيئات العلمية في الجامعات المصرية (الآداب ودار العلوم) مع تجاهل أن اللغة العربية في خصائصها، تخالف لغات الغرب في خصائصها.

٥- التركيز على اللهجات العامية في الموروث الشعبي في العالم العربي، بجمع طائفة من الأغاني والمراثي والمواويل ليروجوا لدعواهم في أرجاء الأقطار العربية، وتكريس المدائح لقصص «ألف ليلة وليلة» باعتبارها أعظم الأعمال الشعبية الأدبية العربية التي نالت شهرة في أنحاء العالم.

٦- بدأت هذه الدعاوى في الصحف والمجلات في العالم العربي - وفي مصر بصفة خاصة، في ظل الاحتلال الغربي لبلاد العرب. ثم كانت التحولات تزداد خطورة إذ أُلِّف في العامية الكتب والبحوث والرسالات الجامعية، ومنحت فيها

مِنَح الدراسات الجامعية، وأرسلت البعثات إلى بلدان أوربا لدراسة اللهجات العربية، وما سمى بالأدب الشعبي على مناهج الغربيين وطرقهم، ثم غزت هذه الدراسات كليات: الآداب ودار العلوم، وفتن بها المخدوعون، وزعم المفسدون أن الغرض منها تعليم المنهج الصحيح.

٧- هددت هذه المحاولات التي بدأت بجهود أجهزة الاحتلال والتنصير إرثنا اللغوي والنحوي والصرفي، بل هددت الإرث الثقافي والديني الإسلامي والعربي كله في لغته التي يفهم بها القرآن - والحديث وإرثنا الشرعي بوجه عام، وفي شرح دواوين الشعر العربي القديم[1].

ونقل الدكتور محمد محمد حسين خلاصة فكره في هذا الموضوع، الذي جعل منه رسالة إسلامية لمن تحكمهم أصول الإسلام، ليتعرفوا على وجوه النفع والضرر للغتهم من وجهة نظر إسلامية، إلى تلميذته نفوسة، وكلفها بأن تجعل منها رسالتها لنيل درجة الدكتوراة بإشرافه، ففعلت ونالت الدرجة ببحث بعنوان: «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأول في سنة١٩٥٩ وبها صارت مدرسًا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية في ٨/ ٣/ ١٩٦٠م.

لم تكن الدكتورة نفوسة أول من تصدت لهذا الموضوع، فقد سبقها أساتذة كتبوا مقالات وبحوثا للدفاع عن العربية، منهم أستاذها الدكتور محمد محمد حسين، والأستاذ محمود محمد شاكر وغيرها، ولكن هؤلاء لم يتفرغوا للدفاع عنها، ولم تجمع كتاباتهم كل ما له صلة بموضوع الدعوة إلى العامية في مصر، كما جمع أشتاته كتاب الدكتورة نفوسة الذي جاء في سفر كبير طبع عدة طبعات.

---

(١) راجع د. محمد محمد حسين: مجلة الأمة القطرية - السنة الثالثة العدد ٣١ في رجب سنة ١٤٠٣هـ - إبريل ١٩٨٣م، ص٢٤، ٢٥.

وختمت عملها بالجامعة بوظيفة رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة الإسكندرية، إلى أن بلغت سن التقاعد في سنة ١٩٨١م.

ولم تغادر الدكتورة نفوسة جامعة الإسكندرية لعمل علمي خارج مصر، إلا من أجل العمل أستاذًا بكلية التربية للبنات بالرياض بالمملكة العربية السعودية في الثمانينيات. وتوفيت الدكتورة نفوسة بالإسكندرية في ١٩٨٩م.

مؤلفات الدكتورة نفوسة:

لم تكن الدكتورة نفوسة غزيرة النتاج، ولكنها أخلصت لرسالتها العلمية من أجل الدين والوطن، ويكفيها كتاب: «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر»، فهو كتاب بألف كتاب في بابه، وفي تأثيره، ويكفيها أن قال فيه شيخ العربية الأستاذ محمود محمد شاكر: «إني أراه كتابًا صالحًا لكل مثقف يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة، إذا وقانا الله شرها باليقظة فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة فذلك ذل الأبد

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى من سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ثم طبع في سنة ١٩٨٨ - وفي سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢ - البارودي حياته وشعره - مطبعة جريدة السفير سنة ١٩٦٢م.

٣- عبد الله النديم بين الفصحى والعامية - مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٦٦م.

يعد هذا الكتاب أهم ما كتب في هذا المجال، فقد كُتبت كتابات مهمة في بابه مثل ما كتب الأستاذ محمود محمد شاكر في دفاعه المستمر عن العربية في مواضع كثيرة من كتبه، وما كتبه الشيخ محمد الغزالي خاصة في كتابه «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين» ، والدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها «لغتنا والحياة» ، وغيرهم. غير أن كتاب الدكتورة / نفوسة زكريا سعيد يظل يقف في

مقدمتها جميعًا، لأنه جمع مادتهم جميعًا، ولقد اعترف الأستاذ محمود محمد شاكر وهو من أئمة علماء اللغة العربية بالعالم العربي بذلك فقال: «والجهد المبذول في جمع مادة هذا الكتاب جهد يدل على التجرد الصحيح في طلب المعرفة، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة، وعلى النفاذ في إدراك الحقائق، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلل ولا ملل.. ولا أظنني قرأت كتابًا يضارع هذا الكتاب مؤيدًا بالأسانيد، بلا تزيد ولا كذب ولا ادعاء عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغة عربية هي الفصحى، أو تفرقهم أشتاتًا بلغات متنابذة هي العامية. إني أراه كتابًا صالحًا لكل مثقف يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة، إذا وقانا الله شرها باليقظة فقد نجونا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمام الغفلة فذلك ذل الأبد»[1].

وكلام الأستاذ محمود شاكر يؤكد خطورة الموضوع، فالأمة العربية الإسلامية تحيا بالعربية، أو تتمزق وتفنى بلغات متنابذة هي العامية، فالموضوع معركة حياة أمة أو موتها.

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى في سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م والطبعة التي بين أيدينا طبعت في سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

يبدأ الكتاب بمقدمة تؤكد خطورة اتخاذ العامية أداة للتعبير، وإحلالها محل العربية الفصحى، كما تبين المقدمة الدافع الذي دفع المؤلفة إلى الانشغال بموضوع بحثها هذا، ففي سنة ١٩٥٦ كانت تفكر في اختيار موضوع لرسالة الدكتوراة، وكان الداعون إلى العامية ناشطين في الدعوى إليها، فرأت أن من واجبها أن تتصدى لدعواهم بدراسة علمية تكشف عن بواعث دعواهم، وآثارها في مصر» . تبين فيها متى ظهرت الدعوة إلى العامية، ومن أي مصدر نبعت، وفي أي ظروف

(١) عن كتابه: أباطيل وأسمار، ص ١٢٥.

نمت، وكيف تطورت، وكذلك الآثار التي خلفتها هذه الدعوة.

ولم يكن الأمر سهلًا على المؤلفة، فأصول موضوعها كانت أشتاتا مفرقة مبعثرة في كتابات مستشرقين، ومن والاهم من الشرقيين، منها المخطوط، ومنها المطبوع، ومنها ما هو في مقالات في صحف ومجلات، وكان عليها أن تنقب وتجمع وتحقق وتدقق، وتدرس كل ذلك بحذر شديد لكي تصل إلى معرفة نوايا كتابها، وأهدافهم إلى هدم العربية الفصحى. لأن كل كتابات هؤلاء لم تكن بريئة من الظنون ؛ أو تقصد سلوك طرق العلم من أجل العلم.

وكتاب «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» شأنه شأن الرسائل الجامعية ينقسم إلى أبواب، والأبواب إلى فصول – رسمت فيها المؤلفة – في المقدمة منهج بحثها وخُطتها فيه، على الوجه التالي:

الباب الأول الدعوة إلى العامية في أصولها من مصادرها الأجنبية وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المؤلفات الأجنبية التي تناولت دراسات اللهجة المصرية

رأت فيه أن تركيز الاستعمار الغربي على مصر مقصود، لأن مصر هي مركز الثقافة العربية، ولها تأثيرها الثقافي في العالم العربي والإسلامي.

وبدأت الحملة على العربية الفصحى في بداية القرن التاسع عشر، عقب خروج الفرنسيين من مصر، وكانت أوربا قد مهدت لها، من قبل ذلك في القرن الثامن عشر، بدراسات اللهجات العامية أولًا في الجامعات الأوربية، فأنشأت «مدرسة نابولي للدروس الشرقية في سنة ١٧٢٧م، ومدرسة فيينا في سنة ١٧٥٤م (مدرسة القناصل) لأنها كانت تعلم القناصل اللغة العربية بلجهاتها العامية، قبل تعيينهم لبلادهم في بلدان العالم العربي، وكان من مدرسيها «حسن المصري» .

وفي فرنسا بدأ الاهتمام بالعامية العربية أول الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، ثم نتج عن هذا الاهتمام إنشاء «مدرسة باريس للغات الشرقية الحية» في

سنة١٨٥٩م وكان القائم عليها المستشرق سلفستر دي ساسي، وكان يعاونه معلم سوري هو ميخائيل الصباغ الذي ألف كتابًا في العامية المصرية والشامية بعنوان: «الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج» في سنة ١٨٨٦م.

وعلى الطريق نفسه أُنشئت مدارس لتعليم العامية العربية في روسيا، وكان من أقطابها الشيخ محمد عياد الطنطاوي بكتاب: «أحسن النخب في معرفة لسان العرب في ١٨٤٨م» وفي ألمانيا أنشئت مدرسة في برلين كان من أساتذتها أحمد والى مدرس العامية المصرية، وأمين معريس مدرس العامية الشامية، ومارتن هرتمن الذي كان يعمل قنصلًا لبلاده ألمانيا في بيروت.

ولم يقل الشأن في إنجلترا عنه في البلدان الأوربية الأخرى، ومن نتاج مدرسة إنجلترا لتدريس العامية المصرية كتاب «أصول اللغة العربية المحكية» في سنة ١٨٥٦م قبل احتلال إنجلترا لمصر بخمس وعشرين سنة.

ولم تتوقف دراسة اللهجات العربية في مدارس أوربا على اللهجات المصرية والشامية، فقد قامت دراسات في العامية العراقية، والمغربية، وكل اللهجات العامية العربية من أجل القضاء على العربية الفصحى، وإحلال العامية محلها «دليل ذلك» أن روح العداء للعربية الفصحى، والرغبة في إقصائها عن الميدان العلمي والأدبي، لم تنتشر إلا عن طريق الأجانب واستغلالهم لدراسة العامية في بث هذه الروح بين أبناء العربية» .

وفي نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين زاد اهتمام الأوربيين بدراسة العامية في مصر لخدمة الاحتلال البريطاني، يأتي في مقدمتهم «ولهلم سبيتا Spitta W.» ، وكارل فوللرز K. Vullers، وقد عين كل منهما مديرًا لدار الكتب المصرية، وليم ويلكوكس W. Willcoks.

ويعد ولهلم سبيتا .Spitta W «رائد الدعوة إلى العامية بمصر بوضع كتاب عن قواعد العربية العامية في مصر في سنة ١٨٨٠م، ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، ومن هذا الكتاب انبعثت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى، وفي هذا الكتاب وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العربية – والعربية العامية» .

وكانت دعوى «سبيتا» هدف الأوربيين الذين تناولوا دراسة العامية المصرية بعده، وإن اختلفت أساليبهم وحماستهم في ترويجها.

ثم أخذت الدعوة إلى العامية منعطفًا لا يقل خطورة عما أسسه «سبيتا» على يد «وليم ويلكوكس الذي وفد إلى مصر في سنة ١٨٨٣م، فقد نشط لمحاربة الفصحى، وإقصائها عن ميدان الكتابة والأدب، بإحلال العامية محلها، ثم زعم «أن سر تخلف المصريين عن الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى».

ولم يكن يهدف ويلكوكس كما بينت المؤلفة «إلا القضاء على العربية الفصحى، وحرمان أبنائها من تراثها في الدين والعلوم والآداب ليسهل على الاحتلال مهمته». والتمكين له من السيطرة على ثقافة الأمة العربية.

الفصل الثاني: الآثار العامية التي قام الأجانب بتسجيلها ونشرها

أرادت المؤلفة أن تبين في هذا الفصل أن الأجانب الساعين إلى نشر العامية، لم يجدوا تراثًا عاميًا يمكن الاعتماد عليه، ولم يف بحاجتهم كتاب «هز القحوف في شرح قصيدة أبى شادوف» وأرجعوا ذلك إلى افتقار العامية إلى أدب مدون. فبدءوا في جمع ما تيسر لهم من أزجال ومواويل و(حواديت) وكان أكثرها ملتقطًا من أفواه العامة من أهمها:

١- مجموعة أزجال مصرية جمعها ونشرها «م. بوريان M. Bouriant» مدير بعثة الآثار الفرنسية بالقاهرة في سنة ١٨٩٣م (طبع باريس).

٢- مجموعة من الأغاني الشعبية التي جمعها «م. جاستون ماسبيرو M. G. Maspero» وكان يعمل مفتشًا بمصلحة الآثار المصرية في الفترة ما بين سنتي ١٩٠٠م و١٩١٤م.

الفصل الثالث: المحاولات التي قام بها الأجانب لإدخال العامية في نماذج أدبية رفيعة

قام «وليم ويلكوكس» بمحاولات لإدخال العامية في نماذج أدبية، لكي يشجع المصريين على مجاراته، فتتمكن العامية من اقتحام الميدان العلمي والأدبي. فيمكن لمروجيها سرعة القضاء على العربية الفصحى، وترجم إلى العامية قطعًا من روايتي «هنري الرابع، وهملت» لشكسبير، ولكن العامية لم تسعفه، فكان يضطر إلى استعارة كلمات وجمل من العربية الفصحى. وتورد المؤلفة نص ترجمة «ولكوكس» لما اختاره من روايتي شكسبير لتؤكد أن العامية المصرية لم تسعفه، فاضطر إلى عدم التقيد في ترجمته بالنص الأصلي، كما اضطر إلى حذف بعض الجمل، وإيراد المعنى إجماليا».

ثم حاول «ويلكوكس» أن يترجم بعض قطع من الإنجيل بالعامية المصرية، فكان مآله إلى الفشل أيضا.

فقام بمحاولة ثالثة بكتاب بالعامية بعنوان «الأكل والإيمان» طبع بمطبعة النيل المسيحية بالقاهرة.

وتعلق الدكتورة نفوسة على محاولات «ويلكوكس» وغيره قائلة: «إني لا أعرف من أهدافهم إلا واحدًا من ثلاثة: فإما هدم الأمة في لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذي هي أمة به ولن تكون أمة إلا به. وإما النشأة في الأدب على مثل منهج الترجمة في الجملة الإنجيلية والتطبيع عليها، وتعويج اللسان بها، وإما الجهل من حيث هو الجهل، أو من حيث هو الضعف» (ص٧٩) .

ومع ذلك فقد كان لهذه المحاولات العملية التي قام بها «سبيتا» و«ويلكوكس» ومن لفَّ لفيفهما آثار سيئة، فقد مهدت الطريق لنشأة الصراع بين ما عرف بـ «الصراع بين الفصحى والعامية» .

الباب الثاني الدعوة إلى العامية في مرحلتها الثانية على ألسن العرب

الفصل الأول: العامية بعيدًا عن الدعوة:

تؤكد المؤلفة على أن الصراع بين الفصحى والعامية لم يكن موجودًا قبل دعاوى الأجانب مثل «سبيتا وويلكوكس» وإن وجدت محاولات لضبط العامية، ولكن كان هدفها الترفيه عن العامة، وليس من أجل القضاء على الفصحى، كما كان يهدف الأجانب، وكان أول من دعا إلى استخدام العامية في مواضيع معينة تتعلق بمصالح العامة «رفاعة الطهطاوي» في كتاب «أنوار توفيق الجليل، ص ١١٤، القاهرة ١٢٨٥هـ» مع تحذير منه من ترك الاهتمام بالعربية الفصحى، فقال: «واللسان العربي (العربية الفصحى) يحتاج إليه في فهم الكتاب والسنة، وكتب الشريعة المطهرة، وفهم مداركها واستنباطاتها على موجب قواعد ذلك اللسان، وأركانه الأربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها من أوجب الواجبات.

«ولا شك أن وحدة اللسان، ووحدة الشريعة يقضيان بوجود التفاهم بين أهلها في سائر الممالك الإسلامية، فاللسان العربي هو الجامع لجمعيات الممالك المتفرقة، والدول المتباعدة المتحدة في الدين والشريعة. المتباعدة في اللغات العامية» .

وكل الذين تابعوا مقولة رفاعة في ضبط العامية، لم يكونوا كرفاعة معنيين بالعامية لذاتها، وإنما لجأوا إليها رغبة في التفكه والإضحاك الذي يخفى وراءه نقدا لاذعا للحياة الاجتماعية والسياسية في ظل الاحتلال البريطاني. كما فعل يعقوب صنوع في مجلة (أبو نظارة) و«زنانيرى» صاحب مجلة (الغزالة) ومحمد النجار صاحب مجلة (الأرغول).

يقول محمد النجار وكان من خريجي الأزهر في مجلة (الأرغول): «إنه لم يستخدم العامية إلا لأنها قريبة من متناول العامة الذين يريد تهذيبهم وتثقيفهم» .

وفي بيان الفرق بين قصد هؤلاء وقصد أولئك الذين راموا هدم العربية الفصحى، تقول الدكتورة نفوسة: «إن الكلام في شأن العامية، سواء من الداعين إلى ضبطها واستخدامها، أو من الذين قاموا فعلًا باستخدامها، كان ينساق في حرص شديد، وحذر كبير دون النيل من كرامة الفصحى، ودون الانتصار للعامية على حسابها» (ص ١٠٤) وكان هدف هؤلاء غير أهداف الأوربيين الذين دعوا إلى اتخاذ اللغة العامية لغة للعلم والأدب، وهؤلاء هم الذين مهدوا لدعاتها في مصر، وفي جميع البلدان العربية ممن لم يتورعوا عن محاربة الفصحى والانتقاص من مكانتها، وأهميتها في الحفاظ على الإرث الإسلامي، والأدب العربي، وكل ما استودعته العربية الفصحى من كنوز العلم والأدب.

الفصل الثاني: صدى الدعوة الأجنبية في صحف مصر:

بعد ظهور كتاب «سبيتا» الذي دعا فيه إلى اتخاذ العامية لغة للكتابة العلمية والأدبية، أيدته بعض الصحف التي كان يصدرها نصارى الشام في مصر، وفي مقدمتها (المقتطف) التي بدأت تنشر مقالاتها المؤيدة لدعوى «سبيتا» في سنة١٨٨١م بزعم قصور العربية وعجزها عن تأدية الأغراض الأدبية والعلمية.

وكان لما نشرته المقتطف مؤيدون ومعارضون، أما المؤيدون فهم الذين كانوا يرددون كلام «سبيتا» و«ويلكوكس» ومن لف لفيفها. ومن المعارضين الشيخ خليل اليازجي والجمعية الأدبية الدمشقية، ويتلخص رأى الشيخ خليل اليازجى في أن اتخاذ العامية لغة للكتابة فيه هدم بناية التصانيف العربية بأسرها، فضلًا عن أن لهجات العامة لا يمكن الاعتماد عليها لتباينها واختلاف أوضاعها.

كما أكد الشيخ خليل اليازجى على أن العربية الفصحى مستوفية القواعد

محكمة الأسلوب واسعة الأوضاع، مما لا يدانيه شيء من اللغات العامية مع تسليم الجميع بها بلا منازع، في كل مجالات التعبير، وأن سعة الفصحى في وجوه التعبير، وكثرة المترادفات على اختلاف في الوضوح والخفاء، يساعد الكاتب على أن يجد للمعنى الواحد صنوفا من التعبير تمكنه من تبليغ المعنى الذي يقصده إلى أبلغ الخاصة، وأجهل العامة، بدون أن يخل منه بشيء.

ولقد تناولت مجلة الأزهر، العدد ٢، السنة ٦ (١٩٨٣م)، الموضوع:

١- فقال الأستاذ إبراهيم مصطفى: «إن اللغة العربية أكثر اللغات الحية عدد كلمات ومعجم لسان العرب يحتوى على ٨٠ ألف مادة، يشتق من كل مادة عشرات الكلمات، واللغة العربية - لسعتها - تجد فيها للمعاني الشديدة التقارب كلمات خاصة بكل معنى مهما كانت درجات التقارب، وبذلك لا يكون محل الالتباس، أو الإيهام اللذين هما آفة العلم والأدب» (في اللغات الأخرى) .

٢- وتخطيتها غيرها من اللغات الحية في طريق الاشتقاق، وتوغلها فيه.

٣- جميع مشتقاتها تقبل التصريف إلا فيما ندر، وهذا يجعلها في طوع أهلها أكثر من غيرها من اللغات، وأوفر بحاجة المتكلمين، ولذلك إذا أردنا أن نرتب اللغات حسب لياقتها للمدنية العصرية والحاجة العلمية كانت اللغة العربية أرقى اللغات وأمثلها بالعلم.

وفوق ما تقدم فقد قام فريق من المهندسين المصريين بإصدار مجلة علمية أطلقوا عليها اسم (المهندس) للأبحاث الرياضية والعلمية، ليثبتوا عمليًا مطاوعة العربية الفصحى للأبحاث الرياضية والعلمية.

سلامة موسى يؤيد دعوة ويلكوكس:

كتب سلامة موسى في مقال بعنوان «اللغة الفصحى واللغة العامية ورأى ويلكوكس» بمجلة الهلال أول يوليو ١٩٢٦م ما ملخصه:

١- صعوبة تعلم العربية الفصحى.

٢- عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية والعلمية.

٣- أنها تبعثر وطنيتنا المصرية، وتجعلها شائعة في القومية العربية... مع أننا نحتاج إلى الاتجاه نحو الغرب. والثقافة تقرر الذوق والنزعة، وليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق.

٤- اللغة العربية لا تزال للآن نرطنها برطانة، ولم تتشرَّبها بَعْدُ نفوسنا ولا أمل في أن تتشربها لأنها غريبة عن مزاجنا، وذلك لأن هذه اللغة الفصحى لغة بدوية، والثقافة هي نبت الحضارة وليست نبت البداوة، ولذلك فإنه يشق علينا أن نضع معاني الثقافة في هذه اللغة» .

وهكذا لما يئس دعاة العامية من الأجانب، بثوا دعواهم في مصر، وكلفوا أنصارهم من أبنائها بثها والترويج لها باسم الإصلاح والتجديد، كما زعم سلامة موسى.

الفصل الثالث: اقتران الدعوى بحركات التجديد والإصلاح

في هذا الفصل تذكر المؤلفة أن الدعوة إلى العامية في مصر، التي انتشرت عقب الحملات التي شنها الأجانب على العربية الفصحى، أخذت تواصل طريقها بعد ذلك من خلال ما سمى «حركات التجديد والإصلاح والتمصير» كما اقترنت بمحاولات إصلاح نحو العربية وكتابتها، وبحركة التجديد في الأدب التي كانت تريد أن تقطع صلته بالأدب القديم شكلًا وموضوعًا» .

كانت حركة التمصير قد ظهرت بظهور القومية المصرية في أواخر القرن التاسع عشر وأخذت في النمو حتى بلغت أشدها في ثورة ١٩١٩م، وكانت تمثل نزعة من نزعات الانفصالية التي خلقتها سياسة الاحتلال البريطاني في مصر وتولى

كبر هذه النزعة أحمد لطفي السيد، فاقترح تمصير اللغة العربية، وكتب في ذلك سبع مقالات نشرها في صحيفة الجريدة لسان حال حزبه في سنة ١٩١٣م، وزعم في المقالة الأولى التي نشرها بعنوان: «التأليف باللغة العربية، أن اللغة العربية خصبة في المعاني والمسميات القديمة، ولكنها ضيقة جدباء في المعاني الجديدة، خاصة المصطلحات العلمية، وفي هذه المقالة نفسها دعا إلى إباحة التسامح اللغوي في قبول الأسماء الأجنبية» .

وفي المقالة الثانية بعنوان: «إلى الأمام في اللغة العربية» طالب بعقد صلح بين اللغة العربية، والعامية التي يتكلمها سكان القاهرة باستخدام المستحدثات الأجنبية من اللغة اليومية مثل: الأوتومبيل، والبسكليت، الجاكتة والبنطلون والمودة، وزعم أن استخدامها أفضل من هجرها، واستخدام غيرها من الألفاظ التي نحاول انتحالها مع التكلف لنعبر بها عن هذه المسميات. وسخر من استخدام كلمات مثل: سيارة بدلًا من أتومبيل، ودراجة بدلًا من بسكليت، مع أن كلمتي سيارة ودراجة من الكلمات المألوفة على ألسنة العامة قبل الخاصة.

وطبق أحمد لطفي السيد ما كان يدعو إليه عمليًا في كتاباته فاتخذ الأسماء الأجنبية من لغة الحياة اليومية، واستعمل التراكيب والتعبيرات المصرية الدارجة في مثل قوله: «الأسماء الجديدة مالها؟، لو أخذناها زى ماهية، فنيت في لغتنا واتبعت أوزانها، نحن نلبس أزياء المودة الغربية، ونستعمل ما تقدمه الصناعة الأوربية من الآلات والماكينات» فلماذا لا ندخل مسمياتها في لغتنا.

ولقد ووجهت دعوى تمصير اللغة العربية التي تولى كبرها أحمد لطفي السيد بمعارضة شديدة خاصة من مصطفى صادق الرافعي، فكتب مقالة بعنوان «تمصير اللغة» ورأى فيها ما يلي:

١- أن شيوع فكرة «تمصير اللغة» ومثلها في كل أمة عربية، أخذ أهلها مأخذ

أحمد لطفي السيد في عاميتها، يؤدى إلى انقراض الفصحى ومحوها.

٢- إن ما أسماه أحمد لطفي السيد بالتسامح في استعمال المفردات الأجنبية، والتراكيب العامية، سيتسع في الأجيال المقبلة حتى تصير فيها العربية الفصحى في كتابها الكريم ضربًا من اللغات الأثرية.

وختم الرافعي مقالته بقوله: «إن الدعوة إلى تمصير اللغة نوع من أنواع العصبية الوطنية الممقوتة التي محاها الإسلام، ولا سبيل إلى تحقيقها واعتبار هذه المصرية أصلًا لغويًا مجمعًا عليه، إلا بتمصير الدين الإسلامي الذي تقوم عليه هذه العربية، وفي مواجهة تحمس مصطفى صادق الرافعي للعربية الفصحى - ظهر المؤيدون لفكرة تمصير الأدب المصري وكتابته بلغة مصرية - وكان أكثرهم من الأدباء الناشئين يتقدمهم محمد تيمور الذي كتب بها قصصه ومسرحياته. ومنهم عبد العزيز عبد الحق الذي كان يدعو إلى أدب قومي، يكتب باللغة القومية، ليساعد على تنمية شعور الأمة المصرية بذاتيتها، واستيعاب الحياة المصرية بالتحليل والنقد. وإيجاد طابع رائق مميز خاص بالأمة المصرية.

اقتران الدعوة إلى العامية بحركة تيسير نحو العربية وكتابتها ومتنها:

كانت ذريعة هؤلاء المطالبين بتيسير نحو العربية، تذليل صعوبات تعلم العربية الفصحى، فكان على رأس هؤلاء عبد العزيز فهمي أحد شيوخ مجمع اللغة العربية، بالاقتراح الذي قدمه إلى المجمع في جلسة ٣ / ٥ / ١٩٤٣م، ودعا فيه إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.

ولكن دعوة عبد العزيز فهمي - أحد أعضاء مجمع اللغة العربية - الذي أقيم لحماية العربية الفصحى - لم تلق قبولًا من أبناء العربية في بيئاتها المختلفة، ولم يناصرها إلا أقلية ممن عرفوا بعدائهم للعربية الفصحى - لأنها لغة القرآن الكريم.

اقتران الدعوة بحركة تجديد الأدب العربي:

ومن هؤلاء الذين قصدوا هدم العربية لغة القرآن، عن طريق النيل من اللغة العربية الفصحى، والنيل من الأدب العربي القديم: سلامة موسى، ففي كتابه «الأدب للشعب» الذي نشر في ١٩٥٦م طالب بتجديد الأدب العربي، فرأى أن ذلك لن يتم إلا بالتوجه وجهة غربية حيث النور والعلم والحضارة بحسب قوله وأوضح ذلك فقال: «في وقتنا الحاضر في مصر والأقطار العربية يجب أن نحارب بالأدب رواسب القرون المظلمة، وندعو فيه إلى الحضارة العصرية، أي حضارة أوربا، إذ نحن على يقين بأنه إذا كانت الشمس تشرق من الشرق، فإن النور يأتي إلينا من الغرب» .

وكان سلامة موسى قد دعا في سنة ١٩٢٦م (مجلة الهلال، يوليه ١٩٢٦م) إلى استعمال العامية، وكان يقول: إنها لغته المفضلة التي لا يشك في أنها تفضل العربية الفصحى، وتؤدى الأغراض الأدبية أفضل منها.

وهكذا نال سلامة موسى من العربية الفصحى مرتين. مرة بتفضيل العامية عليها، ومرة أخرى باسم التوجه نحو الحضارة والمدنية الغربية، وترك الحضارة الإسلامية ولغتها العربية.

الباب الثالث أثر الدعوة في الدراسات اللغوية

الفصل الأول: **أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العامية**:

لم تقتصر تداعيات الدعوة إلى العامية عند مجرد التأييد أو المعارضة، فقد حظيت بدراسات متنوعة تناولت: نشأتها وأصولها ومفرداتها وخصائصها، بجانب دراسات ذرائعية إلى تذليل صعوبات الفصحى التي تذرع بها دعاة العامية، بقصد إضعاف العربية الفصحى، إن لم يكن للقضاء عليها.

أولا: المؤلفات التي تناولت دراسة العامية استجابة لرغبة أجنبية

وقد هدف هؤلاء الذين تناولوا هذه الدراسة تسجيل العامية لغة رسمية، ونشر آدابها، وكتابة العلم والأدب بها، بل إدخال العامية في ميدان البحث العلمي بصفة عامة.

فكان وراء هذه الدعوة بعض العلماء الأجانب - بسوء نية - فقد رأوا أن توسيع نطاق البحث العلمي في العامية، سيضفى عليها أهمية تؤهلها لاحتلال مكان العربية الفصحى».

وقد لف لفيفهم من أبناء المصريين عدد غير قليل - كان بعضهم يعرف مقصدهم من هدم العربية مثل: سلامة موسى. وقلة قليلة واكبت المسيرة بنية حسنة بعيدة عن الأهداف المغرضة مثل: حفني ناصف، ووفاء محمد القوني في دراستيهما:

أولا: كتاب مميزات لغات العرب لحفني ناصف

عنوان كتاب حفني ناصف هو: «مميزات لغات العرب وتخريج ما يمكن من اللغة العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك» وقد كتبه بناء على اقتراح من الدكتور «مارتين هرتمن M. Hertmann» المستشرق الألماني وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة برلين، وقدمه إلى جمعية العلوم الشرقية التي عقدت في «ويانا» سنة ١٨٨٦م.

وفي هذا الكتاب حاول حفني ناصف أن يستدل بطريقة نطق الكلام على إرجاع كثير من اللغات العامية إلى أصولها من لغات العرب ذات الخصائص اللغوية المختلفة. ثم حاول أن يتعرف على أسباب الاختلاف في اللهجة العامية المصرية متبعًا في بحثه الخطوات الآتية:

١- أخذ مادة من مواد الاختلاف (مثل طريقة النطق بالقاف) وإجراء البحث

عليها.

٢- عرض هذا الاختلاف في تلك المادة على المنقول عن قبائل العرب.

٣- إرجاع أصل كل لهجة في مصر إلى قبيلة عربية.

٤- الاستدلال على هذه الصلة ببعض المعلومات التاريخية التي يعرفها عن كل قبيلة .

وخلاصة موضوع بحثه هو مقارنة خصائص اللهجات العامية، بما يماثلها أو يقاربها من خصائص لغات القبائل العربية، باستقصائها لتكون طريقة إلى معرفة أسباب اختلاف اللهجات العامية.

ثانيا: كتاب التحفة الوفائية في تبيين اللغة العامية المصرية

ومؤلف هذا الكتاب هو: وفاء محمد القوني أمين الكتبخانة الخديوية المصرية (دار الكتب المصرية) استجابة لتكليف من رئيسه في العمل الدكتور «كارل فولرسK. Vullers» مؤلف كتاب «اللهجة العربية الحديثة في مصر». وكتاب التحفة هذا معجم للغة العامية المصرية، رتب حسب الحروف الهجائية، وانتهى عند حرف الحاء. وطريقة المؤلف في الكتاب أن يذكر الكلمة العامية ويشرحها، ويأتي بالكلمات التي تشترك معها في المعنى، وطرق العامة في أقاليم مصر في نطقها. خاصة في نطلق حرف القاف = (قال، وآل، وجال) قال المؤلف في مقدمة الكتاب: «راعيت في ترتيب الكلمات حروفها الأوائل (يقصد على طريقة المعاجم الغربية) وراعى في ضبط الألفاظ بالشكل، أن يكون حسبما ينطق به جماعة العامة، وقد جعلت ذلك إرضاء لجناب العالم الفاضل والفيلسوف الكامل حضرة ناظر المكتبة الخديوية العامرة الدكتور «كارل فولرس» فإنه جدير بأن يطاع، وحقيق بأن يبجل ويعظم حسبما يستطاع».

وتؤكد المؤلفة الدكتورة نفوسة «أن التأليف في العامية كان من سعى الأجانب

الذين تولوا مناصب علمية بمصر، فكانوا يستغلون المصريين الذين يعملون تحت إمرتهم للتأليف في العامية» بدون رغبة حقيقية منهم. والدليل على ذلك أن مؤلف التحفة الوفائية، له كتاب مطبوع بعنوان «مقدمة التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية» وفي المقدمة يعتذر عن اشتغاله بالعامية، فيقول: «إن الفصحى هي لغة الدين والثقافة التي يجب الكتابة بها، والعمل على ترقيتها، أما العامية فليست صالحة للكتابة بها، لما داخلها من التحريف والتصحيف، والتغيير والتبديل، فالعامية داء أصاب اللغة العربية الفصيحة، وواجبنا تشخيص هذا الداء ومعرفة أعراضه لكي نوقف سريانه، ونساعد لغتنا الصحيحة لغة الدين والثقافة على مواصلة الحياة، لأن اللغات في العالم كالروح للأمم تكلفهم في خدمتها، ما تكلفهم به المحافظة على الأرواح» .

المؤلفات التي تناولت البحث في أصول الكلمات العامية وتهذيبها:

رأى البعض أن من وسائل ترقية الفصحى البحث في أصول الكلمات العامية، فما كان منها صحيحًا يستعمل، وما كان محرفًا وله أصل في الفصحى يصحح، وما كان منها دخيلًا يبحث عن مرادفه في العربية، فإن لم يوجد له مرادف عُرِّب بعد أن يمرر على الأوزان العربية. وقد أُلِّفت كتب كثيرة في هذا الباب يأتي في مقدمتها:

١- كتاب «تهذيب الألفاظ العامية» للدكتور محمد على الدسوقي، طبع في مصر سنة ١٩١٣م.

٢- «المحكم في أصول الكلمات العامية» للدكتور أحمد عيسى، طبع في مصر سنة ١٩٣٩م.

وكان هدف الذين ألفوا هذه الكتب، استطلاع خصائص العامية، وليس إحلال العامية في تدوين العلم والأدب محل العربية الفصحى.

ولكن ذلك لم يمنع العودة إلى إحياء حركة اللغة العامية، كما فعل محمد فريد أبو حديد في بحثه «موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى» الذي

تقدم به إلى مجمع اللغة العربية في ١٩/ ٥/ ١٩٤٧م وفيه اتهم الفصحى بالجمود، ثم قال: إن أكثر الألفاظ العامية إما صحيحة قرشية، وإما صحيحة في لهجات العرب، وإما محرفة تحريفًا قريبًا يقصد به التسهيل.

وكان يرى حصر هذه الكلمات العامية وردها إلى أصولها، فقد يجد المتكلمون بالعربية في أساليبها ما يساعد على تطوير العربية الفصحى، فيكسبون مكسبًا مزدوجًا، فضلا عن الاحتفاظ بسلامة الفصحى.

كان الهدف الأساسي من دعوته كما زعم، هو تطوير العامية بتصحيحها وترقيتها لتكون أقرب إلى الفصحى. دون التضحية بالعربية الفصحى لغة القرآن الكريم، وكنوز الثقافة العربية.

ولقد قام بالرد على بحث محمد فريد أبو حديد - محب الدين الخطيب صاحب مجلة «الفتح» فقال: «إن العربية قد استقر كمالها وجمالها، وليس على أحد أن يمس جوهرها» بل يتناول توسعها باتساع حاجات أهلها. والعربية تقبل هذا الاتساع الذي يضمن لها النماء الدائم، بما عرف من نظام تكوينها ومرونة صيغها، واضطراد الاشتقاق فيها» .

وبيّن أن اللغة ليست مسئولة عن الانحطاط الفكري والعقلي للمتكلمين بها «فاللغة في طوع المدارك العقلية، وليست المدارك العقلية في طوع اللغة» كما أن التطور في اللغة لا يكون صناعيًا يماشى الأهواء، بل هو طبيعي يعاصر الدهور وتعاصره، وأن علينا قبل أن نعمل على تصحيح العامية ترقيتها بجهودنا الصناعية، علينا أن نعلم المتكلمين بالعامية ونثقفهم فترتقي لغتهم العربية» عندئذ تتقارب المدارك، وتتقارب الألسنة التي تعبر عنها.

الفصل الثاني: أثر الدعوة إلى العامية في الدراسات التي تناولت العربية الفصحى .

لما كانت الاتهامات الموجهة للعربية الفصحى من قبل الداعين إلى العامية محصورة في قولهم بأنها صعبة في تعلمها، وأن الصعوبة تكمن في نحوها وحروفها، كما اتهموها بالجمود، وعدم القدرة على مسايرة الحضارة الحديثة. فكان ذلك سببًا إلى اتجاه البعض للتأليف في تيسير النحو، وقواعد الكتابة، ومع أنهم قالوا إنهم لم يريدوا إلا الإصلاح، وخدمة الفصحى، غير أن بعضهم جاوزوا حدود التيسير، فخرجوا عن سننها، وشوهوا صورتها، ومن هنا قام الدارسون والباحثون ليدلوا بآرائهم، فكان موقف الباحثين في الإصلاح، أو الهدم ينقسم إلى فريقين:

١- الفريق الأول رأى أن النحو لا عيب فيه ولا صعوبة، وإنما العيب في طريقة تدريسه، وكان في مقدمة هؤلاء حفني ناصف، الذي حرص على ألا يمس جوهر النحو فقام ومعه نخبة من الباحثين بتأليف كتب ميسرة لتدريس النحو بالمدارس الابتدائية (١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م) والمدارس الثانوية (١٣٠٩هـ - ١٨٩١م).

ثم قام إبراهيم مصطفى بتقسيم النحو وتبويبه على أساس جديد - أساس المعاني التي تشير إليها الحركات الإعرابية في كتابه «إحياء النحو» سنة ١٩٣٧م.

٢- أما فريق الهدم من أمثال قاسم أمين، وسلامة موسى وغيرهما فتتلخص آراؤهم فيما يلي:

- إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات.

- حذف بعض قواعد اللغة، كحذف موانع الصرف، وجعل العدد من جنس المعدود، وإلغاء صيغ جموع التكسير في الأسماء، والاكتفاء بصيغة جمع المذكر السالم، وإلزام المنادى والمستثنى حالة واحدة، فيكون منصوبًا دائمًا، أو مرفوعًا دائمًا.

وتؤكد الدكتورة نفوسة أن هؤلاء الهدامين كانوا مدفوعين بنية خبيثة تجاه لغة

القرآن «هي التضحية بالقرآن نفسه» كما أكدت أن ذلك كان في مقدمة أهداف المحتلين الأجانب «الذين أرادوا أن يتخذوا من صعوبة قواعد اللغة العربية مبررًا للعدول عنها إلى العامية، حتى يقضوا بذلك على أهم مقومات الوحدة العربية الإسلامية، وهم في الوقت نفسه كانوا يحاولون نشر لغتهم في بلادنا، تمكينا لسلطانهم، ويفرضون علينا تعلم العلوم بلغتهم. ولقد غبى على الذين تابعوهم من أبناء العربية صلة النحو العربي بالقرآن الكريم، والفائدة التي يمكن أن يجنيها المسلمون من معرفة النحو في فهم القرآن وتدبر معانيه» ولهذا نددت الدكتورة نفوسة بالقول بصنع قواعد جديدة كتلك التي زعم الهدامون وضعها، على أنقاض القواعد القديمة التي حدد النحاة معالمها. فقالت: «إن هذا الزعم لا يخلو من غرابة، فضلًا عن استحالة تحقيقه، لأن قواعد اللغة ليست من الأمور التي تخترع أو تفرض على الناس، بل تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدرج، فنظام الإعراب الذي يقوم عليه نحو اللغة العربية ليس من صنع النحاة، وإنما هو عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية اشتملت عليه منذ أقدم عصورها، قبل أن يوجد علماء النحو، فالشعر الجاهلي قامت أوزانه على ملاحظة نظام الإعراب، ومما لاشك فيه أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة. والقرآن الكريم نزل معرب الكلمات. وإنما كل ما عمله علماء النحو حيال نظام الإعراب، أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصًا من القرآن والحديث، والشعر القديم، وكلام الفصحاء من العرب، ورتبوها وصاغوها في صورة قواعد نحوية» .

تيسير الكتابة العربية: (**أو قتل الحرف العربي**)

وهى فرية افتراها «ولهلم سبيتا» سنة ١٨٨٠ في كتابه «قواعد اللغة العربية العامية في مصر» ورأى فيه ضرورة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ولقد ظلت هذه الفكرة تدور في رءوس بعض العلماء العرب، ولقد اهتم مجمع

اللغة العربية بالقاهرة بها، بناءً على بحث مقدم من عضو المجمع عبد العزيز فهمي في جلسة ٣ مايو سنة ١٩٤٣م ولكن أعضاء المجمع خيبوا ظنه، ونقضوا بحثه ونقدوه نقدًا دقيقًا مفصلًا، لأن الحروف اللاتينية التي يريد صاحب الاقتراح أن يحل بها مشكلة الكتابة العربية، لا يخلو رسمها من صعوبات في لغاتها الحية الآن - ولا يستغنى أهلها فيها بالرسم عن ضبط السماع، وعن التلقين، مثل: rite , right , Write وجميع هذه الكلمات تنطق (رايت) وهى مختلفة في الكتابة والمعنى والاشتقاق».

كما أن مشكلة الأصوات في الحروف الهوائية في اللغات الأجنبية لا تكاد تحصى (حروف: A , E , I , O , U) وفيها من الحروف التي تنطق، والحروف التي لا تنطق في كل لغاتها - خاصة الفرنسية (مثل كلمة: رينو Reneault) كما أن حروف اللغات الأوربية الحية تنقصها حروف لا توجد إلا في العربية مثل حرف الضاد، وحرف الحاء وحرف العين، وحرف الغين.

يضاف إلى ما تقدم أن الحروف العربية برسمها وأشكالها أداة موفية التعبير عن مخارج الحروف والأصوات الموجودة في العربية. وأنها استخدمت حرفًا للغات أمم إسلامية كثيرة، فاستطاعت أن تدل، وتفصح عن أصوات لغاتهم: الفارسية والتركية والأردية وغيرها.

إصلاح متن اللغة عن طريق التوسيع والتبسيط:

زعم الأجانب ومن ناصرهم من أبناء العربية، أن العربية الفصحى لغة جامدة وعاجزة عن مجاراة اللغات الحية الأخرى في وضع المصطلحات الدالة على مستحدثات العلوم والفنون الحديثة. ولقد هم المهتمون بهذا الأمر من الغيورين على العربية إلى القيام ببحث في اللغة العربية عن المسميات الحديثة، فإذا لم يتيسر استعير اللفظ الأعجمي بعد صقله ووضعه على منهاج اللغة العربية. وهو ما يقوم

به مجمع اللغة العربية من تأليف معاجم في مصطلحات العلوم والفنون المستحدثة منذ إنشائه في سنة ١٩٣٤م إلى الآن.

هذه هي المسائل اللغوية التي شغلت الباحثين في العصر الحديث، التي كانت نتيجة لبلبلة أثارها الأجانب أولا ثم تبعهم من ناصرهم من أبناء العرب. ولقد ثبت أن مزاعمهم لم تكن صحيحة، بل كانت لخدمة الاحتلال، وإبعاد المسلمين عن القرآن، وعن دينهم الإسلام.

الباب الرابع أثر الدعوة إلى العامية في انتشار المؤلفات بالعامية

الفصل الأول: العامية في كتب المفاكهة والمسامرة

أشار «سبيتا» إلى أنه لم يجد من المؤلفات المدونة بالعامية سوى «هز القحوف في شرح قصيدة «أبى شادوف» ومجلة «أبو نظارة» ليعقوب صنوع، وبعض المسرحيات التي ترجمها محمد عثمان جلال عن الفرنسية، وهى ترجمات لم يتخل فيها المترجم عن بعض التعبيرات في العربية الفصحى. وكان هذا هو الرأي نفسه لكل الأجانب بمصر من أمثال «فولرس، وباول، وولمور» ولكن بعد الدعوة إلى العامية أخذت المدونات بها في الانتشار خاصة في الثلاثينيات من القرن العشرين.

كتاب هز القحوف في شرح قصيدة أبى شادوف:

ألفه الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد الشربيني في عهد الخديوي سعيد، وطبع في القاهرة في سنة ١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م وهو من كتب المفاكهة والمسامرة. ضمنه المؤلف أشعار أهل الريف، وقام بشرحها والتعليق عليها بطريقة مبتذلة ماجنة بغية الإضحاك.

أما الموضوع الذي عالجه الكتاب فقد اقتصر على طبقة الفلاحين، وكانت معانيه التي طرقها ساذجة سطحية، أما أسلوب الكتاب، فيتأرجح بين العامية والفصحى، ولكن تغلب عاميته فصحاه، ولا تخلو من بذاءة.

كتاب ترويح النفوس ومضحك العبوس:

وهذا الكتاب ألف في آخر القرن ١٩ التاسع عشر في سنة ١٨٨٩م للشيخ حسن الآلاتي، وهو من كتب المسامرة بين الإخوان. وقد كتبه بالعامية التي خلصت إلى حد كبير من الألفاظ البذيئة التي لم يتورع صاحب كتاب هز القحوف من التصريح بذكرها، كما أنه تضمن بعض الألفاظ الأجنبية مثل (سنيورينا = آنسة بالإيطالية، وبرافو = عفارم بالإيطالية).

ثم ظهرت المجلات والصحف بالعامية بدءًا بالمسامير للسيد عارف سنة ١٩١٠م وتعلق الدكتورة نفوسة على عامية هذه المرحلة مقارنة بعامية يعقوب صنوع في مجلة (أبو نظارة) ومحمد النجار في مجلة (الأرغول) وعبد الله النديم في مجلة (الأستاذ) و(التنكيب والتبكيت) فهؤلاء كتبوا بالعامية، وكانوا قادرين على الكتابة بالفصحى، وذلك بدافع تثقيف العامة – أما الآخرون فقد كتبوا بالعامية لعجزهم عن الكتابة بالفصحى، وأن الجو الذي أشاعه الأجانب للعامية، شجع كل من له إلمام بالقراءة والكتابة على أن يشتغل بالصحافة ويكتب بالعامية.

الفصل الثاني: العامية في المسرحية

كان للمسرح المصري إسهام كبير في نشر العامية. وكان يعقوب صنوع (أبو نظارة) (١٨٢٩ – ١٩١٢م) مؤسس المسرح المصري أول من كتب مسرحيات بالعامية، في مقدمتها «موليير مصر وما يقاسيه» وكان مسرح «صنوع» يعالج أدواء المجتمع الاجتماعية، والخلقية، والسياسية، خاصة في عهد الخديوي إسماعيل.

ولم يكن «يعقوب صنوع» يهدف من الكتابة بالعامية إلا أن يتجاوب معه عامة الشعب الذين كانوا حتى ذلك الوقت يرزحون تحت وطأة الأمية.

مسرحيات محمد عثمان جلال:

كانت مسرحيات محمد عثمان جلال، مقتبسات قام بترجمتها بالعامية، عن

مسرح «موليير» تم تمصيرها لتتواءم مع البيئة المصرية والحياة الاجتماعية المصرية. فأدخل فيها عادات المصريين وتقاليدهم، وكثيرًا من الحكم الشعبية، إمعانًا منه في إبراز الروح الشعبية المصرية. وتعبيرًا عن أهم مشكلات الشعب المصري.

وكان دافع محمد عثمان جلال للكتابة بالعامية تعصبه لنداء «المصرية» الذي نادى به أحمد لطفي السيد لخلق أدب مصري متميز الطابع في الموضوع وفي اللغة. أما السبب الثاني – برأي الدكتورة نفوسة «فهو استجابته لدعوة «سبيتا» لكتابة أدب بالعامية. ثم دعوة «ولكوكس» الذي أغرى المصريين في سنة ١٨٩٣م وكان مديرًا للكتبخانة المصرية – بالمكافآت المالية لكي يتباروا في الكتابة بالعامية.

فأخذ محمد عثمان جلال، وكان موهوبًا في نظم الأزجال إلى نقل مسرح موليير وراسين الفرنسيين إلى العامية.

مسرحيات محمد تيمور (١٨٩٢ – ١٩٢١م):

كان محمد تيمور حريصًا على تمصير المسرح، وكان المسرح التمثيلي أهم شاغل له في حياته الأدبية، ولقد ساعده على ذلك تفرغه للكتابة، وموهبته في الكتابة المسرحية بالعامية، فقدم للمسرح: «العصفور في القفص»، و«عبد الستار أفندي»، و«الهاوية»، ثم مسرحية واحدة ممصرة عن المسرحية الفرنسية الهزلية هي «ذو اللحية الزرقاء Le Barbe Bleu» .

كان محمد تيمور متمكنًا من الكتابة بالفصحى، التي كتب بها شعرًا ونثرًا، ولكنه كتب مسرحياته بالعامية لأنه وجدها فيها زعم أكثر مطابقة للواقع من العربية الفصحى، يضاف إلى ذلك انتصاره لفكرة تمصير الأدب.

وكان محمد تيمور رائدًا لكتاب المسرح باللغة العامية فتبعه كثيرون مثل: إبراهيم رمزي، وأنطون يزبك، عباس علام، وحسين رمزي، ومحمود تيمور،

وتوفيق الحكيم، وأمين صدقي، وبديع خيري وغيرهم.

الفصل الثالث: العامية في القصة

عرفت فترة العشرينات القصة باللغة العامية مثال القصة التي أملاها أحد الفتوات واسمه يوسف أبو حجاج بعنوان مذكرات فتوة القاهرة، الطبعة الثانية سنة١٩٢٧م ومذكرات عربجي تأليف حنفي أبو محمود طبع القاهرة سنة ١٩٢٢م.

وتختلف عامية كل من القصتين، فهي عامية سوقية في قصة «مذكرات فتوة» أما عامية مذكرات عربجي فإن أسلوبها يتردد بين الفصحى والعامية المهذبة، التي يتحدث بها المتعلمون من أبناء القاهرة».

الفصل الرابع: العامية في الزجل

كان الزجل – في بدء النهضة الأدبية – قبيل أن ينهض به البارودي – يسير مع الشعر جنبًا إلى جنب، وكان الزجال عبد الله الفحام يؤثر استخدام الفصحى في أزجاله، حتى لا تكاد تلمح فيها من مظاهر العامية سوى التحرر من قيد الإعراب في مثل قوله:

في بحر حسنك والغرام والجمال كام في محاسن منهلك من هلك

وإن كان عزولي شبهك بالهلال يا بدر من لا يعرفك يجهلك

لكن بعض الزجالين الذين كانوا يجمعون بين النقد الاجتماعي والفكاهة والسخرية تردوا في العبث باللغة، وبذيء الكلام، وتضمينه كلمات أجنبية في مثل قول محمد عبد المنعم (أبو بثينة).

بون جورنـــو سنيورينا محاسبكم جنتلمان

أنتنها واحد فينا قـــوة ثمانين حصـــان

إيه يا سنيور موسوليني مالك متفرعـن ليه

مخك مكرونة وديني باردون ما نتش جانتيه

وفيها من الإيطالية «بـون جورنـو سنيورينا Bongiorno Segnorina» = صـباح الخـير يـا آنـستي، ومـن الإنجليزيـة «جنتـل مـان» أي رجـل مهـذب. ومـن الفرنسية «باردون = معذرة».

وفيها من الكلام البذئ = أنتنها واحـد، وهـى ههنـا بمعنـى أسـوأ واحـد وأقـل رجـل، ولقـد اتـسع مجـال موضـوعات الزجـل، فعـالج مـشاكل الأسرة وأدواءهـا الاجتماعية، وتكلم عن الأوضاع السياسية السيئة في البلاد، وسجل كبرى الحوادث الوطنية.

الباب الخامس: التجربة ترد للفصحى اعتبارها:

الفصل الأول: في الشعر

عانى الشعر من الضعف والركاكة، وخواء من الروح الشعرية، بسبب ما خلفه العصر العثماني من تخلف ثقافي إلى أن جاء عصر البارودي والـشيخ حسن المرصـفي ليأخذا بيد الشعر والنثر ويرفعان من قدر لغة الأدب بصفة عامة.

أولاً: في الشعر:

اسـتطاع البـارودي أن يقـرأ دواويـن الـشعر العـربي القـديم، وأن يـتمكن مـن الاتصال بأعلام اللغة والأدب وفي مقدمتهم الشيخ حسن المرصفي.

كان البارودي صاحب ملكة شعرية، وكان يتمتع بمكانة اجتماعية صرفتـه عـن أن يتكسَّب بالشعر، فمكَّنه ذلك من إحياء الشعر العربي، فبعد أن قرأ دواوين الشعر القـديم، نهـج مـنهج القـدماء في بنـاء قـصائدهم، وسـلك طـريقتهم، في اسـتخدام قوالبهم وموضوعاتهم، وفي تناول معانيهم وتـشبيهاتهم، وفي محاكـاة أسـاليبهم، وفي تمجيد مثلهم» .

وبعـد البـارودي جـاء شـعراء كبـار مثـل: شـوقي، وحـافظ، وخليـل مطـران، فساروا في الطريق الذي عبده لهم البارودي. «ولقد حافظ هؤلاء على المادة اللغويـة،

ولم يجمدوا إزاء النماذج القديمة فلبوا مطالب الناس في مجالات السياسة، والمناسبات الاجتماعية والدينية، وزاد شوقي فأدخل الشعر التمثيلي، ونظم أشعار على ألسنة الحيوانات كتلك التي صاغها لافونتين الفرنسي في حكاياته» .

ولقد دافع هؤلاء وشعراء آخرون عن الفصحى، إذ كانت الدعوة إلى العامية قد بلغت أشدها، ومن أهم ما قيل شعرًا في الدفاع عن الفصحى قصيدة حافظ إبراهيم ومنها:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء مخترعات

ثم أخذ يندد بالمصريين الذين تابعوا الأجانب في الدعوة إلى العامية فيقول:

أيهجرني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاء كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

وجاء بعد شوقي وحافظ ومطران، شعراء «أبوللو» وشعراء «الديوان» شكري والعقاد والمازني، فاختلفوا مع سابقيهم في مسألة بناء القصيدة، ووحدتها العضوية، لكنهم اتفقوا معهم في الحرص على فصيح اللغة، ومراعاة قواعد اللغة العربية الفصحى، ساعد على ذلك أن لغة الشعر العربي ترنو إلى المثل العليا، والعواطف السامية، التي لا ترتقي العامية إليها.

الفصل الثاني: في القصة

القصة والمسرحية من الفنون التي شقت طريقها إلى الأدب العربي في العصر الحديث عن طريق الاتصال المباشر بالغرب. ولقد غلبت العامية على المسرح لاتصاله المباشر بالعامة التي لا تستسيغ الحوار بالفصحى، ولكن الأمر اختلف في

القصة، فمن مبدعيها من رأى أن يتمسك بالفصحى في السرد والحوار، ومن رأى التمسك بها في السرد فقط، أما الحوار فيكون بالعامية.

كانت قصة «زينب» لمحمد حسين هيكل أول محاولة جادة لرواية عربية في العصر الحديث، سنة ١٩١٤م كتبها مؤلفها يوم أن كان طالب علم بباريس. ولقد تأثر فيها بشيئين مهمين: أولهما الأدب الفرنسي الرومانسي. وثانيهما: إيمانه بدعوة لطفي السيد بفكرة «المصرية التي كرس تعميمها في حياة المصريين السياسية والأدبية واللغوية، مع التزود من ينابيع الثقافة الغربية. ولهذا فقد استخدم فيها المؤلف العامية في الحوار، والعربية في السرد، في لغة فصيحة سهلة تقرب من لغة الحياة اليومية».

وألف توفيق الحكيم «عودة الروح» في سنة ١٩٣٣م وكانت ثمرة تأثره بالوعي القومي المستحدث في عصره، وتعظيم الشخصية المصرية. وقصة عودة الروح كتبت في جزأين، عرض فيها توفيق الحكيم آراء إصلاحية واجتماعية وأخلاقية نابعة من «المصرية» وتوسع فيها في استخدام العامية سواء في السرد، أو في الحوار. فلغة القصة هي العامية المصرية (ص ٣٨٣) وعامية القصة ليست على درجة واحدة إذ إن الأحداث التي حدثت في الريف لها عاميتها، غير التي حدثت في القاهرة، فهي تمزج العامية القاهرية بالعامية الريفية».

وكان لتوفيق الحكيم أعمال أخرى بعضها بالعامية مثل «العوالم» سنة ١٩٢٧م، ويوميات نائب في الأرياف، وأعمال أخرى بالعربية.

الفصل الثالث: في الأقصوصة

فارس الأقصوصة في مصر بدون منازع هو محمود تيمور، وكانت أولى مجموعاته القصصية (الشيخ جمعة) سنة ١٩٢٢م محاولة لخلق أدب محلى مصبوغ بصبغة مصرية وهو ما التزم به في أعماله التالية (عم متولي) و(الشيخ سيد العبيط)

و(رجب أفندي). وكان محمود تيمور يكتب السرد بالعربية، والحوار بالعامية، لكنه لم يلبث بعد عدة تجارب أن عدل عن العامية، إلى العربية الفصحى، وعلل ذلك بأنه لمس تنافرًا في استخدام لغتين: واحدة للوصف هي الفصحى، وأخرى للحوار هي العامية «ودان له ذلك في نهاية العقد الرابع من القرن العشرين، فالتزم الكتابة بالفصحى الخالصة في السرد والوصف والحوار» وبلغت لغته العربية من رقى ونضوج بدءًا من مجموعته «شفاة غليظة» سنة ١٩٤٦م.

أقاصيص المازني:

سبق أن قلنا أن إبراهيم المازني كان واحدًا من أعمدة مدرسة الديوان في الشعر التي طالبت بالمحافظة على العربية الفصحى في الشعر. لكن المازني لم يلتزم بذلك في نتاجه القصصي سواء في القصة الطويلة، أو الأقصوصة. «فكان لاشتغاله بالصحافة أثر كبير في تطور أسلوبه، من ناحية عدم عنايته بتجويده، وترخصه في استخدام العامية». وكتب المازني: «خيوط العنكبوت ١٩٣٥م» و«في الطريق ١٩٣٦م» و«ع الماشي ١٩٤٤م»، و«أقاصيص ١٩٤٤»، و«من النافذة ١٩٤٩ م» وكان يكتب - كما بينت الدكتورة نفوسة - ألوانًا مختلفة من الحوار، كان يكتبه تارة بالعامية، وتارة يمزج فيه بين الفصحى والعامية، وأخرى يكتبه بالفصحى».

وهو في كل حال من هذه الأحوال كان يراعى مقتضى الحال في الحوار بما يناسبه من الفصحى أو العامية، أو من مزيج منهما، يشفع له في ذلك ما خلفه في الفصحى من الشعر والنثر، التي برهن فيها على مرونة الفصحى واتساعها لكل المعاني الحديثة.

الفصل الرابع: في المسرحية

استُخدمت كل من العربية الفصحى، والعامية في كتابة المسرحية، فاستُخدمت الفصحى في المسرحيات التي استحدثت مادتها من التاريخ، أما العامية فقد

استخدمت في الموضوعات التي يقبل عليها العامة، خاصة الهزلية، ولكن محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، كان لهما رأى آخر، وهو إذا قدمت المسرحية على المسرح فيجب أن تكون بلغة العامة التي يتفاعلون معها، أما إذا كانت للقراءة فقد رأيا كتابتها باللغة العربية الفصحى.

على أحمد باكثير كتب مسرحية هزلية مثلت بالعربية الفصحى:

كتب على أحمد باكثير مسرحية «مسمار جحا» بلغة عربية سهلة، تقبلها جمهور المشاهدين، حافظ فيها على أصول الفصحى، دون أن يعبث بقواعدها النحوية أو الصرفية.

ولقد كتب «باكثير» هذه المسرحية ليظهر عورات الاحتلال وذرائعه إلى احتلال الأوطان، وليبين ما يلقاه الشرق العربي على أيدي المحتلين.

استطاع باكثير أن يكتب مسرحية مضحكة بلغة فصيحة فكانت كما أكدت الدكتورة نفوسة «محاولة موفقة في ترويض ذوق الجمهور على استساغة الحوار الفصيح في تمثيلية فكاهية، ولقد لقيت نجاحًا كبيرًا عندما مثلتها فرقة المسرح المصري الحديث سنة ١٩٥١م».

توفيق الحكيم في مسرحية «أغنية الموت»:

يعد توفيق الحكيم رائد المسرح العربي، وأهم كُتَّابه كتب للمسرح بالعامية وبالفصحى، ومن المسرحيات التي كتبها بالفصحى «أغنية الموت» «ولم تحل الفصحى بينه وبين سياق حوار عذب ينساب طبيعيًا في غير تكلف أو تصنع» .

ومع أن الحكيم كتب بالعامية مسرحية «الزمار» وكتب «أغنية الموت» بالفصحى، فهو من داخله يكون أكثر اقتناعًا عندما يكتب بالعربية الفصحى، يؤخذ ذلك من قوله: «إن استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه، هو أن هذه اللغة ليست مفهومة في كل زمن، ولا في كل قطر، بل ولا في كل إقليم» في القطر الواحد.

ولقد توصل توفيق الحكيم في مسرحية «الصفقة» إلى لغة مسرحية سهلة يخيل لقارئها أنها مكتوبة بالعامية، مع أنها مكتوبة طبقًا لقواعد الفصحى. ويقول عنها توفيق الحكيم «إنها تحقق التقريب بين طبقات الشعب الواحد، وبين شعوب اللغة العربية بتوحيد أداة التفاهم على قدر الإمكان دون المساس بضرورات الفن» خاصة وأن الرأي متجه الآن إلى كتابة المسرحية المحلية بالعربية الفصحى، مع توخي السهولة في التعبير حتى لا تبعد عن الواقع أو تجافيه كما رأينا في مسرحية «الصفقة» .

خاتمة:

وتنهى الدكتورة نفوسة زكريا سعيد سفرها الكبير القيم بخاتمة في غاية القصر، تتلخص فيما يلي:

أن العامية ظاهرة موجودة في كل اللغات. ولكن علماء الغرب من جنود الاحتلال هم الذين جعلوها مشكلة في لغتنا العربية بالترويج للعامية، بقصد خبيث هو القضاء على العربية الفصحى - لغة القرآن الكريم - والإرث الديني والثقافي للأمة العربية الإسلامية. ثم بينت الدكتورة نفوسة كيف أن الله - تعالى - رد كيدهم في نحورهم إذ إن حملتهم الخبيثة دفعت كثيرًا من أبناء العربية إلى القيام بأبحاث قَيِّمة للذود عن العربية، وإثبات قدرتها على مسايرة مستجدات الحضارة في كل العصور، وكشفت في الوقت نفسه عن عجز العامية، وعدم كفايتها في التعبير، كما بينت أن الرأي العام يتجه إلى التمسك بالفصحى، ونبذ العامية في أنحاء العالم العربي كله.

*****